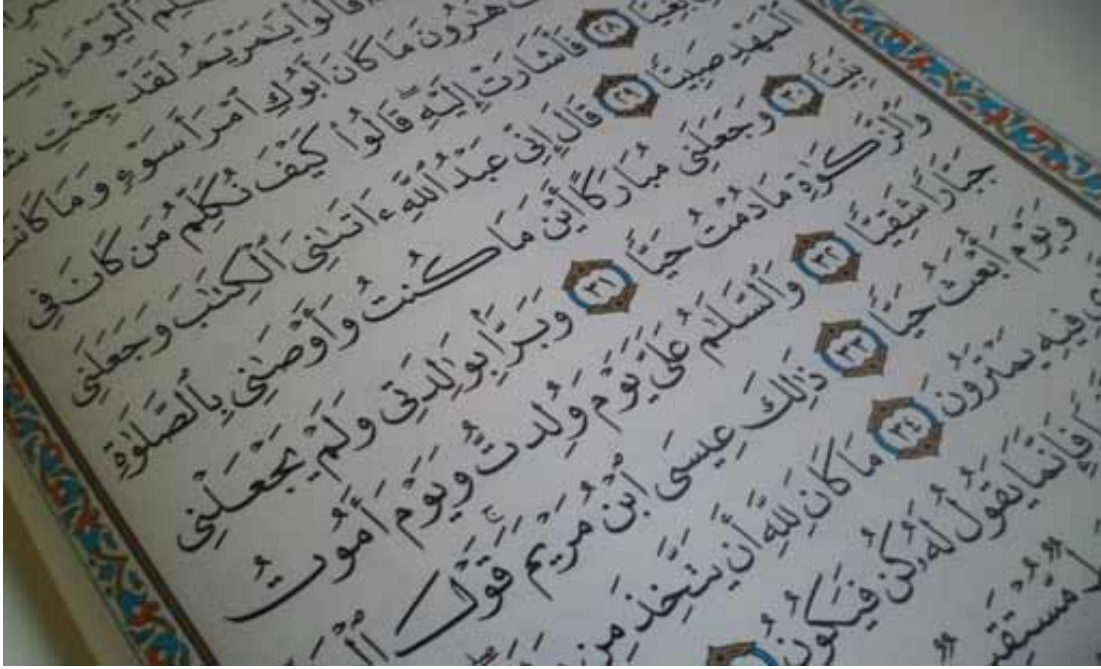


الاستئذان والتحية



«من أخص صفات الأمم المتقدمة أن تكون لهم في علاقتهم ببعضهم آداب عالية وعادات حسنة يسيرون عليها.

والإسلام الذي استوفى جميع مقومات الأجساد والأرواح لم يغفل الآداب التي يجب أن يسير عليها أتباعه فوفاها حقها من الرعاية التي تنم عن كمالٍ في الذوق وسمو في الشعور.

ومن الآداب التي سنّها: الاستئذان والتحية، وهما اليوم من خلال التي تعد من مميزات أهل المدينة فتراهم يحضرون عليهما، ولا يتسامحون فيهما، والإسلام قد سنهما لأهله منذ أجيال كثيرة جاء في القرآن: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَيْهَا أُولَئِكَ أَرْحَمُ وَأَعْلَىٰ فَلَا تَدْخُلُوا فِيهَا مِنْ دُونِهَا أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْكُمْ أَوْ يُدْعُوا إِلَيْكُمْ فَاذْهَبُوا بِسَلَامٍ عَلَيْهِمْ) (النور / 27-28).

أمر [] المؤمنين بأن لا يدخلوا بيوتاً ليست لهم إلا بعد أن يطلبوا الأذن من ساكنيها ويسمح لهم بالدخول وبعد أن يلقوا تحية السلام على ساكنيها، فإن لم يجدوا في هذه البيوت أحداً فلا يدخلوها حتى يجيء من يسمح لهم به، وإن لم يسمح لهم وطلب منهم الرجوع فليرجعوا فإن ذلك أظهر لنفوسهم، و[] مطلع على أحوالهم.

رد التحية: وإذ شرّع الإسلام الاستئذان والتحية نراه من جهة أخرى يحض على رد التحية، لأنّه ليس هناك صفة معيبة تثير العداوة بين الأفراد مثل عدم رد التحية، ولا يكتفي الإسلام من اتباعه برد التحية بل يأمر بردها بأفضل منها، وهذا نهاية في السمو الأدبي الذي يأمر به الإسلام متبعيه قال [] تعالى: (وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) (النساء / 86).

هذا هو أدب القرآن الذي لم يغفل أيّة ناحية ترقى الأمّة وتهذب من أخلاقها إلا وحصّ عليها.

إذا تتبعنا المشاكل الخطيرة والتافهة التي تنشأ في محيط الأسرة والمجتمع رأيت مصدرها في كثير من الأحيان الكلام السيء الذي يصدر عن المرء بدون روية ولا تفكير فيقع عند الغير موقع الاستهجان، وكثيراً ما يولد منازعات لا داعي لها.

فالكلام الحسن مصدرٌ عظيم للنجاح وسبب في تكوين مجتمع راق، لهذا عُنِي به المربون والمصلحون، ودعوا إلى حسن مخاطبة الغير ومراعاة اللهجة اللينة، فاختيار الكلام الحسن اللين يجعل الإنسان محبوباً في بيئته وسبباً للتقدم في مجال عمله وللحصول على أصدقاء كثيرين يقدمون له كثيراً من المعونة في مجال هذه الحياة، لهذا دعا إلى الكلام الحسن بقوله:

(وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ) (الإسراء / 53).

يأمر إلى المؤمنين في هذه الآية بأن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الحسن فإن لم يفعلوا ذلك واختاروا الكلام السيء فإن الشيطان يفسد بينهم فيقع الشر والخصومة.

ويقول إلى تعالى في موضع آخر: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) (البقرة / 83).

ويأمر إلى بخفض الصوت لأن ذلك من امارات الكلام الحسن، ويشبه الصوت المرتفع بنهيق الحمير للتنفير منه: (وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) (لقمان / 19).

ويدعو إلى إلى البشاشة عند معاملة الناس ومخاطبتهم، وينفر من الغلظة معهم فيقول مخاطباً نبيه محمداً: (فَيَمَامَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لِيَذَرَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَنفَضَّوْا مِنْ حَوْلِكَ) (آل عمران / 159).

والمعنى: بسبب الرحمة التي أنزلها إلى عليك يا محمد عاملت قومك بالرفق ولو كنت فظاً شرس الأخلق في القول والعمل لتفرقوا عنك ونفروا منك. وهذا إرشاد للمؤمنين يبين لهم أن المعاملة الكريمة والقول الحسن من الضروريات عند الأنبياء وقادة الأمم لتجتمع القلوب حولهم فيكونوا مسموعي الكلمة في قومهم.

هذا هو الأدب القرآني في معاشرتنا الناس لإقرار المودة فيما بينهم، وهو فيما نرى لا غنى عنه لكل جماعة تبتغي السلام والسعادة في هذه الحياة. ►